٢- الانتحار

تأليف : ماريو فراتي
ترجمة : د. ابراهيم حمادة

العنوان الأصلي للمسرحية :

THE SUICIDE

A One Act Play

Mario Fratti

Translated by

Marguerita Carra and Louise Warner

شخصيات المسرحية

- الزوج
- الزوجة
- ام الزوجة

(يجري الحدث فى العصر الحالي بايطاليا)

ان طابع مسرحيات فراتي ، ليس كطابع مسرحيات مواطنه العالمي لويجي برانديللو حيث الذهنية والفكر ، ولا كمسرحيات مواطنه الآخر أوجو بتي حيث الانفعـال المجازي ، وانمـا تتميز مسرحياته (فراتي) بالبسـاطة ، والشخصيات ذات الروح العالمية فى نضالها المستميت ، كي تعيش الحياة بشتى الحيل المشروعة وغير المشروعة .

كما يعـد فراتي أستاذا ــ بين جيله المعاصر ــ فى كتـابة المسرحية ذات الفصل الواحد . ولعل هذه هي المرة الأولى التي يقـدم فيها فراتى الى العالـم العربي بمسرحيته التى نترجمها فيمـا بعـد .

و « الانتحار » مسرحية تصور لحظة درامية فـي حيـاة زوجين شابين ، محدودي الدخل ، يعيشان مع ابنهما الصغـير وتضطر هـذه العائلة الصغيرة المكافحة ، الـى ان تأوي والـدة الزوجة الوحيدة ، كي تعيش معها ، وتقاسمها لقيماتها المعدودة .

ان الزوجين المكافحين يحبان الأم الأرملة التي لا دخل لهـا ولكـن قسوة الظروف الماليـة الحرجـة ، تفرض عليهما شعورا بالضيق منها ، كضيف ثقيل . ان كلا منهما يأمل ــ في قـرارة نفسه أن تترك الأم مكانها فى البيت بأي ثمن .... واقصى ثمن هو أن تقوم بالانتحار ... الانتحار الجسدي الحقيقي ... التلاشي .. ولكنهما لا يتصارحان بهذه الأمنية الخفية التي تنبض فى قلبيهما ..

أما الأم فتخيب آمالهما ، باصرارها على الوجود الفزيائي والانتحار المعنوي ، وعلـى أن يكـون الزوجان هما القاتلان .. وهكذا تتركز المأساة فى موعد النهاية .

ان المسرحية تعبر عـن نفسها بطريقة اكثر تأثيرا ، وهي مجسـدة فوق خشبة المسرح ، رغم قصرها ، وقلة شخصياتها . لا شك ، انها تعكس ازمة الانسان الأوربي المعاصر ، الذي يمزقه صراع الـولاء للقيم الانسانية الآخـذة فى التآكل والضمـور ، ومطالب الحياة الحديثة المادية المتجهة نحو الانانية والفردية .

المنظر

« مطبخ متواضع . يتدلى من منتصف سقف الحجرة مصباح كهربي ينبعث منه نور قوى ، بينما يوجد مصباح آخر فوق الحوض ولكنه خافت الضوء . تبدو الزوجة في حالة عصبية شديدة ، وهى تبكى في هدوء . ومع هذا فهى مشغولة بترتيب بعض الحاجيات . الزوج جالس في مقعده يطالع إحدى المجلات الايطالية . تنبعث موسيقى الجاز من راديو صغير » .

الــزوج : (إلى زوجته وقد ضايقه بكاؤها) أوقفى هذا البكاء (يعلّي من صوت الراديو لكى يعلو على صوتها) . .

الزوجة : (بعد فترة) كم الساعة الآن ؟؟

الزوج : (دون أن ينظر إلى ساعته التى في يده ، والتى كان دائم النظر إليها) الحادية عشرة وعشر دقائق .

(تدير الزوجة ظهرها لزوجها وهى لا تزال تنشج . يلاحظ الزوج ذلك ويبدو أنه غير قادر على مواصلة القراءة فيتجه إلى الراديو لكى يعلى صوته ، وعندما يكتشف أن صوت الراديو في أقصى درجته يسكته في غضب . تنظر إليه زوجته في شيء من الامتنان) .

الزوجة : (في خوف) كم كانت الساعة في تلك الليلة التى . . ؟

الزوج : التى قذفتها فيها بالطبق ؟؟ كانت حوالى العاشرة .

(صمت طويل . يتظاهر كلاهما بالانشغال : هي بما

في الحوض ، وهو بقراءة المجلّة . ومع هذا فإن كلاً منهما يبدو في منتهى العصبية والضيق) .

الزوج : (في شيء من العدوانية بعد أن لاحظها وهي تنظر إليه من طرف عينيها) لماذا تنظرين إليّ ؟؟ لماذا ؟؟ (ملوحاً) اعتقد ان الذنب سيكون ذنبي اذا تأخرت ! !

(صمت)

لم لا تجيبين ؟؟ ردّي عليّ ! ما الذي تودّين أن تقوليه ؟؟ ما الذي توبخينني من أجـــله ؟؟ أظن أن ذلك بسبب ما حدث بخصوص زيت الزيتون ؟؟

الزوجة : (تلتفت إليه في غضب وتحدّق فيه . تمرّ فترة توتّر . في بطء) وهكذا عرفت أنت أيضاً ، عرفت أن شعورها كانت مجروحة ، انها . . . .

الزوج : (يلوح) شعورها مجروحة ؟ ما الذي جعلها تشعر بهذا الايذاء ؟؟ ألأنّي ابعدت زجاجة زيت الزيتون عنها ؟؟ أنا ربّ هذا البيت ولا أستطيع الا أن أستعمل قليلا من الزيت ، أما الضيوف ، وهي ضيفة فيصبّون الزيت صبّا (في كلماته شيء من السخرية) .

الزوجة : كانت عيناها مليئتين بالدموع وهي جالسة إلى المنضدة ثم أخذت بعد هذا تبكي في حجرة أخرى .

الزوج : هي ؟؟ إنها تستطيع أن تبكي حتّى عندما تسقط أية قبعة على الأرض ! ! ألا تذكرين قصة الكمثّرى ؟؟ كانت تتظاهر بالبكاء . لقد راقبتها . وعندما أحست بالاحراج أغلقت حجرتها على نفسها حتّى تتجنـب نظراتنا(١) . . . . انك لا تبكين لأني — أنا — ربّ هذا

(١) يبدو انها كانت تحاول ان تستاثر لنفسها بشيء (المترجم)

البيت ، وأنا الذى أعطى لكل واحد نصيبه من الطعام . أليس لى الحق ؟؟ دعينا لا تنسى أننى الشخص الـذى يحمل العبء ، ويسدّد قيمة الفواتير . (ينهض . يخطو بعصبية . لنفسه) الكيلو الواحد يزن ثلاث كمثريات فقط ؟؟ كيف ندبر أمور المعيشة ؟؟ هل أنا أجد النقود ملقاة على الأرض ؟؟ إني أكسبها بنفسى ، بعرقي ، بذراعيّ هاتين !! (يضرب يديه بقسوة) أنا أوزع الطعام بالتساوى ، أقول بالتساوى . . يعنى أربعـة أنصبة متساوية . حتى ابنى يحصل على نصيب واحد ، ابنى ، ابنى الذى من لحمى ودمى . ولكنها . . . . . (يضعف تعبيره الساخر لأن زوجته تنظر إليه نظرة قاسية . يمر وقت . لا يزال يسير في عصبية وهو ينظر في ساعتـه . ثم يكـاد يقول لنفسه) هل أنت متأكدة أنها ليست على وشك أن . . . (١) (يتوقف عندمـا تنظر إليه زوجته والدموع في عينيهـا) .

الزوجة : على وشك ماذا ؟؟ استمر .

الزوج : (بحذر) أن تفعل شيئاً جنونياً . ترتكب فعلا لا يقوم به انسان طبيعي لمجرد أن أخذت منها زجاجة الزيت . . (نظرتها القاسية مؤلمة جدا إلى درجة أن شجاعته لا تمكنه من الاستمرار) .

الزوجة : لقد بدأت تقول شيئاً آخر . لقد كنت تفكر في . . . (صمت) .

الزوج : (مسلما بذلك) كنت « أفكر في » ربما . إنها تستطيع

---

(١) المقصود أن تنتحر (المترجم) .

أن تفعل أى شيء . إنها مجنونة . على الأقل أفكر في أنها مجنونة . أعرف أنك لا تفكرين كذلك . إنك ابنتها وأنت تعرفينها خيراً مني . أنت الشخص الذى جاء بها إلى هنا ووضعها تحت أنفي . . (دون اقتناع) إنها عنيدة إنها تفعل كل شيء في الدنيا لأجل نفسها (يلاحظ تألم زوجته فيسيطر على مشاعره . صمت) هل هذا ذنبي ؟؟ هل هذا ذنبي ؟ أخبريني . . أنا أفعل كل ما في وسعي . أنا أحاول دائماً أن أكون عطوفاً رحيماً . ماذا أستطيع أن أفعل بالقليل الذى أكسبه من عملي ؟؟ الفاكهة مثلا . هل ذنبي أنه لم يبق أى شيء منها ؟؟ إنها لم تلمسها ، وهي التي رفضت . لقد كانت عنيدة وأصرت على ألا تأكل أى شيء منها . اننا نوفر بعض النقود حين لا نشتريها ، حين نستغني عنها . التوفير . . . التوفير الذى جعلنا جميعاً — وهي معنا أيضاً — أن نأكل لحماً أكثر وخضروات أكثر مما اعتدنا أن نأكل . نصيب كل واحد منا دائماً معادل لنصيب الآخر . إنك تعرفين لكل واحد نصيبه . . . وفي الواقع ، كنت تفضلينها علينا في بعض الأحيان . . . ومع هذا أظل ساكتا . إنها تستعمل ورنيش حذائي لكي تلمع به حذاءها . . . ومع هذا أظل ساكتاً . وتستعمل معجون أسناني . . وأظل ساكتاً . ماذا تريدين أكثر من هذا ؟؟ ماذا تتوقعين ؟؟ (في رنة أسف) والهدية الصغيرة التي أعطيتها إياها في عيد ميلادها ، والشال الجديد ، والكريمة القليلة التي تضعها في قهوتها ، إنها الشخص الوحيد في الأسرة الذى يفعل ذلك . (يشوح

بذراعيه) أكثر من هذا ؟؟ (يحاول أن يبرر كلامه ، ولأنه خائف من أن يتحول الموقف إلى أسوأ . يردد النظر كثيراً في ساعته وهو نافد الصبر) هل وضعت يدى عليها مرة واحدة منذ أن جاءتنا(١) ؟؟ ومع هذا فالحق معى كما تعرفين . أنا ربّ البيت . (في سخرية) « ربّ البيت » ولا أستطيع أبدا أن أمشى في في البيت بالبنطلون الشورت إذا أردت ذلك . حجرتان فقط في البيت ودائماً أجدها في كل موضع . لا أدرى كيف تجعل نفسها تتواجد في كل مكان . حتى « هناك »(٢) أجدها عندما أريد أن . . . (متأثراً بنشيج زوجته) هل تتذكرين عندما قذفت بالطبق منذ شهور مضت ؟ لقد كان ذلك في نفس الوقت الذى كانوا يهدّدوننا فيه بالطرد من الشقة . لقد كنت حانقاً ومغتاظا . . . لقد كان الولد مريضا في السرير ، وكنا في أشد الحاجة إليها لكى تذهب إلى الصيدلية ، ولكن أين كانت في ذلك الوقت ؟ ؟ . . . كانت في الخارج . . ومن يعرف أين كانت ؟؟ كان علىّ أن أقتلها . وفي مقدمة كل شىء يجب أن أقلق عليها أيضاً ؟؟ فلو تنكسر رجلها ، أو تذهب إلى السجن . . . أو حتى إلى الجحيم ! ! . . . عندى ابنى أولا لكى أفكر فيه وعندى زوجتى (يشعر بقلق فيتجه إلى زوجته التى تحاول أن تتجنبه) حتى حياتنا تغيرت . . . ولها الشكر على ذلك . . . ليست لدينا خصوصيات . اننا مثل

---

(١) المقصود ضربها (المترجم) .

(٢) المقصود دورة المياه (المترجم) .

غريبين . . أنا وأنت . . إذا تشاجرنا فذلك بسببها هي ، لأنني عددت قطع الخبز ، أو عايرت النبيذ ، وأعطيت نصيبها إلى الولد ابننا . (صارخاً) أليس لى الحق في أن أفعل هذا ؟؟ أليس لى الحق في ذلك ؟ نعم أم لا ؟؟ (مهدئا نفسه ، إنه يريد أن يسمع كلمة من زوجته التى تحاول أن تتحاشاه . إنها – مثله أو ربما أكثر منه – تخاف أن يتطوّر الموقف إلى مالا يمكن اصلاحه بعد ذلك . فترة توتر طويلة) ربما كانت مع إحدى صديقاتها الآن . . وهى ترغى معها في سيرتنا . . . بل في سيرتك أنت . . لأنها حقود . . . (تنظر إليه زوجته في استغراب . إنها لا تفهم ما يعنيه . فيتولى هو شرح ذلك) لأني أعطيك نقوداً ، وتستطيعين أن تشترى الحاجيات ، وتقررين ما ترينه . لقد رأيتها ذات مساء وهى تراقبك وأنت منهمكة في اعداد ميزانيتك . ولن أستغرب منها إن هى . . (تنظر إليه زوجته نظرة توبيخ يغير من الموضوع وما كان سيقوله من اتهامها بالسرقة صمت) لا فائدة . دعينا ننسى . (صمت) ولكن لو افترضنا أنها تقدّر عنايتك بها . . . (تنظر إليه زوجته بعينين مليئتين بالدمع . فيتحاشى الخوض في الجدال الذى كان سيبدأه . يحاول أن يبرر موقفه) على أية حال . . . (حركة كما لو أنه يغسل يديه) أنا أستحق قبل أى شيء آخر شكراً جزيلاً لأني أعطيتها مأوى ، وأقوم على اطعامها . (باصرار) لا . الذنب ليس ذنبي وأتعشم أن توافقيني على ذلك . (صمت طويل . لا إجابة من الزوجة المكتئبة تمام الاكتئاب . إنها مغمومة

من كلام يتفق مع مخاوفها هى) يجب أن تتكلمى . يجب أن تعترفي بأني أحاول دائماً أن أبذل كل ما في وسعى . أنا لا ألام . لا ألام إذا . . . . .

الزوجة : (تنظر إليه في حزن) إذا . . ماذا ؟؟

الزوج : (بعد فترة) . . إذا قررت أن ترتكب فعلا أحمق . . . (بضعف) إذا ما ذهبت تشكونا لأى إنسان . .

الزوجة : هذا ما لا تفكر فيه فعلا ! أنت تعرف أنها لا تشكو أبداً انها لا يمكن أن تسأل أى إنسان عطفا .

الزوج : عطفا !! لماذا ؟؟ لماذا ينبغى أن تفعل ذلك ؟؟ ماذا ارتكبت في حقها ؟؟

الزوجة : (في قسوة واصرار) هذا الذى تقوله ليس ما تفكر فيه فعلا .

الزوج : (بعد فترة . وفي صوته نغمة ساخرة مزيفة) . أنت بالطبع لا تقصدين « الانتحار » ؟ أليس هذا ! (يصمت بينما تحدق فيه الزوجة) على كل حال فهى . . . (اشارة على أنها ليست في صحتها العقلية) أنت تعرفينها أكثر مني . إنك تعرفين ذلك .

الزوجة : (منفجرة) إنك تعذبها . . أنت وأنا . أنت . . وأنا . . وكلنا . . حتى الولد الصغير يقلدنا . . لأسباب تافهة جداً .

الزوج : نعذبها ؟ نحن ؟ من الذى يأخذ اللقمة من فمه لكى يعطيها إياها ؟ من ؟ أختك ؟ هل أرادتها أختك ؟؟ أوه . لا . . لا . . إنها ماهرة هذه الأخت (يمسك عن

الاسترسال لأن فكرة طرأت على ذهنه فجأة) . أما الآن فستكون هذه الأخت بجحة ، أجل ، وتتجـــرأ على إتهامنـــا . . .

الزوجة : (في حزن . عند هذا التأكيد النهائي) وحتى أنت تفكـر في هذا ! . . أتعتقد ذلك . . أوه . . إنه ذنبي أنا . . كله ذنبي . أنا ابنتها . . أنا . . كان من واجبي أن أحافظ عليها وأساعدها . . .

الزوج : (محاولاً اقناعها) إنه ليس ذنبك . انه قدر العجائز الحزين . كتب عليهم أن يعيشوا في حال سيء . يطرأ على حياتهم وقت معين يتحققون فيه أنهم عبء و . . .

الزوجة : (في حزم) أنا ذاهبة ، أنا ذاهبة لكي أرى . . . انك تفكر نفس التفكير ، نفس الشيء . . . أنت تصدق ذلك ، أيضاً .

الزوج : (يسترجعها) لا فائدة . . . مهما حدث لها . . . لا فائدة . من الأفضل أن تنتظريها . على الأقل ، دعينا نقنع أنفسنا بأن ما حدث لم يكن ذنبنا . من الأفضل أن نستمـــد . . .

الزوجة : (مجروحة) ماذا ؟ نستعد بماذا ؟

الزوج : . . بما تقولينه . . لأختك . . وللآخرين . . . .

الزوجة : (في عنف وعصبية) كم الساعة الآن ؟؟

الزوج : (يسترجعها) الوقت متأخر . إنها لم تتأخر من قبـــل كما تأخرت الليلة . ربما كانت تشكو لأحد وتحاول أن تكتسب بعـــض العطف . . . أو ربمـــا تستعطف

أحدا لكي يطيقها الليلة لا . . مستحيل . يجب . أن نعرف الآن . وأنت تعرفين من يدلنا ؟؟ إنها نفسها . . ليست مذنبة . إنها امرأة طيبة . لقد تحققت الآن اني كنت في بعض الأحيان فظا غليظا معها . . . (في أسف ورنة اخلاص) السبب هو العمل ، والمضايقات حتى الهواء هنا يكلفنا نقودا . وكل شيء يقع على كاهلي . إن الانسان يحتاج إلى طمأنينة ذهنية لكي يكون عطوفا . . إنه يحتاج إلى نقود حتى لا يضطر إلى أن يعد عدد نقط الزيت أو فصوص البرتقالة . لقد كنت دائماً أحبها . يا للمسكينة . . . ألا تعرفين أن أمي نفسها تعيش نفس الظروف ؟ إنها تأكل الفتات وتتحمل في سبيل ذلك كل إهانة . . الذنب ليس ذنبي أقسم على ذلك . لقد كنت دائماً أوقر الكبار وأحترمهم . أذكر . . منذ سنوات مضت ، عندما كنت صبياً صغيراً سألتني امرأة عجوز أن أساعدها في أن تنزل بعض السلالم . ساعدتها ثم أعطيتها قرشين ، وكان ذلك كل ما كان معي . إنها لم تكن في احتياج إلى النقود ، لأنها كانت ثرية . لم أكن أستطيع أن أميز بين شخص غني وآخر فقير . بالنسبة لي كان كبر السن مقرونا بالبؤس . . . لقد اعتقدت أن تلك قاعدة الحياة ، وحتى أمي يتحتم عليها أن تمد يدها في يوم من الأيام . (مشاعره الآن متحركة ومتعاطفة) . وفي هذه اللحظة تظهر الأم عند عتبة الباب . إنها رقيقة الحال جدا شكلا وملبساً . يقفز الزوج على قدميه في دهشة عظيمة . تتحول انفعالاته إلى الضد . الابنة

مندهشة ايضاً ولكنها لاتجروء على ابداء راحتها لرؤية أمهـــا خوفاً من زوجها المتوتر الأعصاب والذى يستعد للهجوم . تتحرك المرأة العجوز في خوف شديد تجاه المائدة ، ولكن ليست لديها الشجاعة لكى تجلس) .

الزوج : (مهتاجا . وفي سخرية ينحنى انحناءة كبيرة) هـــل تتفضلين بالجلوس أيتها الدوقة ؟؟ (يحضر الطبق وعشاء المرأة العجوز ويكاد يقذف بهما إلى المائدة) في هناء وعافية (في نغمة متهكمة جدا) أم تودّين أن أسخّن لك الطعام ؟

(من الواضح أنه ليس على استعداد لأن يفعل ذلك . بل انه يفضّل أن يضربها . لا تجرؤ المرأة العجـــوز على أن تأكـــل) .

الزوج : (في غضب وعدوانية شديدة) أين كنت أيتها المـــرأة العجوز ؟ أين ؟ أين ؟ أين ؟ إنك تدفعيننا إلى الجنـــون ، أنت . . . .

الزوجة : (في نغمة رقيقة بعض الشيء) إنه على حق ، يا ماما . .

الأم : (تنظر إلى ابنتها فقط ، وتقول في ذلة) لقد نمت . . في الجبّانة . . .

الزوج : في الجبانة ؟؟ (ويده على وجهه) أوه . . . يا إلهـــى ثم مـــاذا ؟

الأم : (في خوف) مثل هذا اليوم من العام الماضى . . رحلت شقيقتك . . . لقد اشتريت بعض الزهور و . . (صمت طويل . لقد نسى الاثنان التاريخ) .

الزوج : (في حرج) زهور . . زهور (فجأة إلى زوجته) من أين جاءت بالنقود ؟؟ هل أعطيتها أنت نقوداً ؟؟

(تنظر إليه الزوجة نظرة تأنيب تجعله يأسف على ما قاله . يخرج بعد أن يغلق الباب في عنف . ثم يعود لكى يطفىء نور المصباح الذى يتدلّى من السقف . يترك المكان وهو يتمتم لنفسه لا يبقى غير النور الخافت على اليمين . تتحرك الابنة ولكنها لا تملك الشجاعة لكى تبدى أى عطف نحو أمها . تقضى بعض الوقت في ترتيب بعض الأشياء ثم تتبع زوجها خارجة . . الأم العجوز وحدها منحنية تحت عبء العيش . تجاهد في أن تلوك بعض طعامها دون أدنى رغبة) .

— ستار —

* * *